

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (53)

شرح الكلمات:

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} بارتكاب المعاصي، واقتحام الذنوب

{لَا تَقْنَطُوا} لا تيأسوا

{مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} ومغفرته؛ فالقنوط من رحمته تعالى كفر

{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} للتائب المستغفر

المعنى الإجمالي :

لقد صح أن أناسا كانوا قد أشركوا وقتلوا وزنوا فكبر عليهم ذلك وقالوا نبعث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يسأله لنا هل لنا من توبة فإن قال: نعم، وإلا بقينا على ما نحن عليه وقبل أن يصل رسوهم نزلت هذه الآية {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} أي أفرطوا في ارتكاب الجرائم فكانوا بذلك مسرفين على أنفسهم {لَا تَقْنَطُوا} أي لا تيأسوا {مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} في أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة، إن أنتم تبتن إليه وأنتم {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} لمن تاب منها فإنه تعالى لا يستعصي عليه ذنب فلا يقدر على مغفرته وعدم المؤاخذه عليه إنه هو الغفور الرحيم.

أيها الأحبة في الله ، إنا والله في نعمة جد عظيمة ، ألا وهي أن لنا رب غفور رحيم حلیم ، يقبل توبة العبد بعد الإسراف في المعاصي ، فيتوب عليه ولا يبالي ، بل ويبدل سيئاته حسنات ، أليس هو الذي نادى عباده قائلاً: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }.

فسارع أحي وأختي بفكاك رقابكم من النار، واغتنموا الوقت بالطاعات والسنن ، وكثرة الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم وكثرة التوبة والاستغفار وبادروا بالحسنات. واعلموا إخواني بأن الله يفرح بتوبة عبده بعد أن ضل، فيغفر له ما كان من ذنوب ومعاصي ولو كانت كتراب الأرض وتزيد البحر، فلقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي: ( يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) [رواه الترمذي] .

أيهل المسلم والمسلمة ممن قد أسرف على نفسه بالذنوب ومعصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، اتق الله وتب إلى الله وخف الله واخش الله فمن خاف من الله وخشيه وتاب إلى الله تاب الله عليه إن كانت توبته صادقة.

آثار الإسراف وأضراره.

- 1- تحريك دواعي الشر والإثم.
- 2- الانهيار في ساعات الحزن، نتيجة لعدم أخذ المسرف بالشدة والحزم .
- 3- الحرمان من حب الله تعالى.
- 4- الإسراف نوع من التهور وعدم التبصر بعواقب الأمور.
- 5- الإسراف داع إلى أنواع كثيرة من الشر.

علاج الإسراف:

- 1- التفكير والتأمل في النتائج الوخيمة على البدن والنفس والقلب والمال
- 2- جاهدة النفس لترويضها على الاعتدال وعدم الإسراف
- 3- دراسة سيرة النبي ودوام النظر فيها للإقتداء بهديه في حياته العامة

4- البعد عن المسرفين وتجنب مخالطتهم.

5- العمل على نشر القيم والفضائل الخلقية.

آثار المعاصي والإسراف على النفس .. خطوات العلاج

- 1-أول خطوة في طريق العلاج إنما هي التوقف عن هذه المعاصي فوراً،
- 2-ثم بعد ذلك الندم على فعل هذه المعاصي،
- 3-ثم ثالثاً عقد العزم على ألا تعود إليها تحت أي ظرف من الظروف وتحت أي داعٍ من الدواعي، فإذا كان لك من أصدقاء السوء يمشون معك ويزينون لك المعاصي فاهجرهم في الله ومن أجل الله واقطع علاقتك بهم وابحث عن أصحاب صالحين تقضي وقتك معهم.
- 4- عليك بالدعاء حتى يشبك الله على الحق؛ لأنه لا يرد القضاء إلا الدعاء.

أسباب اليأس والقنوط:

- 1- الجهل بالله سبحانه وتعالى.
- 2- الغلو في الخوف من الله سبحانه وتعالى.
- 3- مصاحبة اليائسين والقانطين والمقنطين.
- 4- لتشدد في الدين وترك الأخذ بالرخص المشروعة.
- 5- لة الصبر واستعجال النتائج.
- 6- تعلق القلب بالدنيا.
- 7- دُنُوْ الأهمية والاستسلام للواقع وضعف الرغبة في التغيير.

علاج القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى

- 1- الإقلاع عن المعصية، والمبادرة في التوبة إلى الله سبحانه وتعالى.
- 2- حُسن الظن بالله عز وجل من أقوى ما يُدفع به القنوط من رحمته.
- 3- النظر إلى سعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وعظيم فضله وبره، وكرمه جوده.

## لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم ( 370 )



قوانين من تفسير سورة الزمر الآية 53

تحدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدها : عزمي إبراهيم عزيز

## الفوائد :

- 1- بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.
- 2- يقول العلماء هذه أرجأ آية في كتاب الله، كيف لا؟! وهي قد أشرعت أبواب الأمل في وجوه البائسين وضمنت خط العودة للتائبين.
- 3- المعنى الرئيس الذي يدور حوله لفظ (الإسراف) إنما هو تجاوز الحد المشروع، فكل من تجاوز ما شرعه الله فهو مسرف، و(الإسراف) قد يكون بفعل المعاصي، وقد يكون بفعل الشرك، وقد يكون زيادة في فعل مباح أو مطلوب، وقد يكون نقصاً في فعل مطلوب، فكل ذلك تجاوز لما شرعه الله لعباده، ورضيه لهم.
- 4- لا تظن أن ترك المعصية يكون بين يوم وليلة.. إن ذلك يحتاج إلى مجاهدة وصبر ومصابرة، ولكن اعلم أن المجاهدة دليل على صدقك في ترك الذنوب وربنا تبارك وتعالى يقول ( **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ).
- 5- معرفة عواقب المعصية ونتائجها... إنك كلما تفكرت في النتائج المترتبة على الذنوب فإنك حينها تستطيع تركها.. فمن عواقب الذنوب ( **الهم والغم والحزن والاكتئاب والضيق والوحشة بينك وبين الله وغيرها من عواقب الذنوب** ).
- 6- ما يصيب المسلم في دنياه من عجز ومرض، وبلاء ومحنة، وكرب وشدة يستلزم منه اللجوء إلى الله لكشف كربته، وزوال محنته، لا أن يكون ذلك سبباً لقنوطه.
- 7- تأخر إجابة الدعاء، وعدم حصول عين المطلوب في الدعاء لا يستلزم القنوط، بل قد يكون في تأخر الإجابة أو عدم حصول المطلوب من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة ما يتمنى الداعي أنه لم يتحقق دعاؤه حتى تستمر له هذه المكاسب، فمن ذلك: التذلل لله عز وجل، والانطراح والانكسار بين يديه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، والإلحاح في الدعاء.

8- لا شك بأن الله -تبارك وتعالى- هو وحده الذي يفرج الكرب، وهو بذلك كريم مع عباده، رحيم بهم، وهو يقف إلى صف عباده المؤمنين الصالحين في أوقات الرخاء، يدعمهم من فضله وإحسانه.. أفبتركهم في أوقات الشدة والكرب والبلاء؟!.

9- سبحانه وتعالى- يتبلي المؤمنين بالكرب ومختلف أنواع الابتلاءات.. لاختبارهم واختبار قوة إيمانهم وثباتهم على منهجه ودينه وطريقه.. فالدنيا دار ابتلاء، وطوبى لمن خرج منها ناجحاً مُعافى ثابتاً على الصراط المستقيم.

10- الحذر ثم الحذر من تسرب اليأس أو القنوط إلى النفس مهما بلغت الذنوب، ولا سيما إذا لازم العبد الاستغفار في أحواله وكانت توبته صادقة ناصحة، وما دامت الروح في الجسد ولم تطلع الشمس من مغربها.

11- لا يزال القرآن يقرر الأمل في النفوس ويقطع حبال اليأس والقنوط عن الغارقين في بحار الردى ولجج الهلكات يوم أن مد لهم الرحمن سواعد النجاة ومصاييح الدجى بأبلغ عبارة وأعظم إشارة للتائب يوم يتوب ويقترن بتوبته ويتبعها الإيمان والعمل الصالح.

12- ما أعظم رحمة الله.. فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يقبل توبة العباد مهما أظلمهم الشيطان بشروعه واحتوتهم أحوال الرذيلة وحفهم شؤم المستنقع.. متى ما ترك العبد الذنوب خوفاً من الله عز وجل ورجاءاً لثوابه وإيثاراً لطاعته على معصيته، فإن تلك السيئات الماضية بيدها الله إلى حسنات. وما ذاك إلا لأن التائب كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة وتصير السيئة حسنة.

13- يقول العز بن عبد السلام رحمه الله:

"اليأس والقنوط استصغار لسعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وذلك ذنب عظيم، وتضييق لفضاء جوده".

14- المؤمن بالله تعالى لا يتسرب إليه اليأس. ولا يقعد به القنوط، لأنه مؤمن أن الله له خزائن السماوات والأرض. ومن ثم فهو علي طمأنينة وسكينة وأمل، حتى ولو طرد وأهين وضافت عليه سبل العيش.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .